



وَهْدِيَّة

75

الجزيرة النداهة

علاء الدين طعيمة



سلسلة الحكمة

مديرية التعليم

مغامرات مومن



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

دار السحرة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٣

مغامرات عجيبة جداً

[٧٥]

جوهرة الجزيرة النداهة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع القانوني، ١٨٩٩ / ٢٠٠٧ م

التسجيل الدولي، 5 - 429 - 253 - 977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي
أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط
فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار النجوم للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون، ٣٩٠١٩١٤ - فاكس، ٥٩٠١٦٩٥

تليفون المؤلف، ٣٧٨٢٩٦٤ / ٠١٢ - ٣٦٣٢٩٨٠ / ٠٣

مغامرات مؤمنه

جوهرة الجزيرة النداهة

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم

عبد الرحمن بكر

دار النسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق
خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة
عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى
للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر في رحلات
عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار
والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من
الإنس والجن والأحياء والأموات، وفي كل مغامرة -
بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح في
إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

فى مغامرتنا السابقة.. تمتعنا بالإثارة والتشويق
وحبس الأنفاس، عندما استطاع مؤمن بمعاونة البحارة
أن يصيدوا سمكة القرش الضخمة.

وذكرنا أن مؤمن بعد أن تنفس الصعداء.. نام فوق
سطح السفينة ثم سقط فى الماء وظل نائمًا لم يستيقظ.
وهذه حالة لا يتمتع بها الكثير من الناس فى
الحقيقة.. فهناك القلائل ممن يحيون حولنا يمكنهم النوم
بينما لا يغرقون فى الماء.

وهؤلاء ممن يجيدون فن السباحة ورياضة الماء..
ويمكنك عزيزى القارئ أن تجرب هذا بنفسك.. ليس
أن تنام وتنعس.. ولكن أن تطفو على سطح الماء ممدداً..
دون أن تشعر بالضيق ولا أن تخشى السقوط فى القاع.

مغامرات محببة جداً

وهذا فى فى رياضة السباحة يسمى بالطفو.. وهو أول ما يجب على من يرغب السباحة وتعلم رياضتها أن يتعلمه.. وفيه يرشدك المدرب إلى أن تلقى بجسدك فى حالة من الاسترخاء التام .. دون أن تشد أى جزء من جسدك.. وعليك أن تلقى رأسك للخلف حيث تنظر إلى السماء بطريقة عمودية.. لأنك لو نظرت إلى قدميك وثيت رقبتك فسوف تسقط من فورك.

ولقد مرت بى حادثة شبيهة بما جرى لمؤمن ذات مرة.. فعند وصولى للمصيف على الساحل الغربى.. لم أتمكن من النوم كعادتى عندما أغير طبيعة حياتى ومكان نومى.. وفى الصباح رأيت البحر مثل السجادة المفرودة.. ولم أتمالك نفسى فجريت وغطست وسبحت

ثم استلقيت على ظهري.. ويبدو أن النعاس داهمني في تلك اللحظة.. فالماء مثل فراش وثير والشمس دافئة كغطاء حنون.. فنمت وأنا على هذا الوضع فترة طويلة.. وعندما لطمني بعض الماء في وجهي.. أفقت.. فحمدت الله أن البحر هذا الصباح لا يتحرك بتياراته المعهودة.. وإلا كنت سأجد نفسى أنهض من هذا النوم اللذيذ وأنا في عرض البحر.. وعرفت حينها أن الإنسان يمكنه النوم في الماء.. وهذا ما يحدث لكثير ممن يتعرضون للغرق وينتظرون وصول النجدة.

لا علينا.. نريد الآن أن نعرف حكاية صاحبنا وبطلنا المحبوب مؤمن، بعد أن استيقظ فوجد نفسه في عرض المحيط ولا أثر للسفينة ولا لغصن أو قشة تساعده.. والليل يبسط رداءه على الدنيا كلها في هذا المكان.

مغامراته محببة جداً

فيالك من محظوظ يا مؤمن.. يا لك من واعد بالتجارب
الشاقة.. إنى أرثى لحالك.

- أرجوك لا ترثى لحالى.. كل ما أحताجه منك هو
الدعاء عسى الله أن ينجينى من هذا المحيط والليل
والسمك.

- لكن... ماذا لو طلبت منك يا مؤمن أن نخبرنا
بمشاعرك؟

- اعتدت على مثل هذه المحن... وواجهت أصعب من
ذلك..

- وماذا أنت فاعل الآن؟

- لولا البرد لقلت لك إن النوم كان لذيذاً.. وإننى أود
العودة للفراش.. لكن البرد يشتد.

- هل ستقوم بالسباحة؟

- أستاذ علاء.. كيف بالله عليك تنصحنى بالسباحة...

إلى أين؟.. هل أصبح وأضيع جهدى إلى وجهة لا أعلمها.. وقد لا أصل بعد ذلك إلا للماء؟

- قلبى معك يا ولدى.. اسمع يا مؤمن.

- نعم يا أستاذ علاء.

- قلبى لا يطاوعنى كى أكتب عنك وأنت على هذه الحالة.

- وماذا تقترح؟

- أقترح أن تتولى أنت إخبار القارئ المتلهف الآن بنفسك

عما يجرى لك.. وأنا فى الحقيقة أشعر بحنين للنوم.

- أستاذ علاء.. أيعقل أن تتركنى فيما أنا فيه ثم تنام؟

- ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك يا مؤمن؟.. سأدعو

الله لك.

- سيدى.. أرجوك.. أنا فى محنة.
- أخبرنا يا مؤمن.. معذرة.. لا أتمالك نفسى.. سأنام.
- أستاذ علاء.. أستاذى.. يا إلهى.. يا رب.. تركنى الرجل ونام.. هو الذى وضعنى فى هذه الورطة.. هو الذى أَلَفَ القصة السابقة ثم رمى بى من فوق سطح السفينة.. ما العمل يا رب؟ يا أستاذ علاء.. أرجوك.. اكتب شيئاً يخرجنى من هذا اليم.
- خو خو خو..
- لقد نام.. وما العمل الآن؟.. أظن أننى سأعمل بنصيحته وأصبح.. ولكن إلى أين.. على كل.. بعض السباحة لا تضر فقد أعثر على شىء أسند جسدى عليه فقد تعبت.
- وهكذا أخى القارىء.. بعد أن تركنى المؤلف وحدى.. سبحت ولم أعثر على شىء.. ليس أمامى

سوى الماء الداكن بسواد الليل.. أظنك تسأل إذا لم تكن من أهل السباحة كيف يقف مؤمن فى الماء.. أقول لك: أن تكون مسترخياً تماماً.. وتحرك رجلك على شكل المقص للأمام والخلف بهدوء وبدون انفعال.. ستقف كثيراً.. وإذا تعبت يمكنك الاستلقاء على ظهرك كما شرح لك المؤلف الذى تركنى وحدى. سأكمل لك ما حدث لى بعد ذلك.

كنت أحمد الله تعالى أن جعل المحيط هادئاً على عكس عاداته الدائمة، فساعدنى ذلك على البقاء دون معاناة لأطول فترة.. وحتى نصف الليل وأنا على هذا الحال.. أستريح طويلاً ثم أسبح قليلاً.. وكن على يقين أخى القارئ.. أنك لو سقطت ذات مرة ضحية لإحدى السفن أو العبّارات ذات الصلاحية المنتهية.. واضطرك

الحال للسقوط فى الماء وكان الماء بارداً.. فلا تظن أنك
 أنك إذا تحركت كثيراً ستدفأ.. هذا اعتقاد خاطئ.. لأنك
 بذلك تفقد جهدك وقوتك ومن ثم كل السعرات
 الحرارية اللازمة لتبقى على قيد الحياة.. فسيبرد جسمك
 بسرعة.. ولكن تحرك بلطف واحمل معك الكثير والكثير
 من الملابس.. وحبذا لو كنت مرتدياً سترة للنجاة.

ودون أن أخرج عن الموضوع والقصة والحكاية
 الغريبة التى مررت بها مرة أخرى.. أكمل لك.. فأنا
 أعرف أنك متشوق.

أما فى النصف الثانى من الليل؛ فى الحقيقة لم أشعر
 به.. لم أكن نائماً.. بل على العكس.. شعرت أن تياراً ما
 يحملنى ويسرع بى.. فحمدت الله ودعوته فى الوقت ذاته
 ألا تكون دوامة أخرى.. ثم برد الهواء وأدركت أنها الريح

المبشرة بالعاصفة.. فيالها من عاصفة.. كنت فى الماء.. لا قارب ولا سفينة.. وشربت ماءً كثيراً.. فى الحقيقة.. لئن تكون خفيف الوزن أو حتى بوزن ناقلة جنود أو طائرات أو بترول.. فالموج العاتى أكبر من كل هذا.

أصبحت أطير فى الهواء ثم أغوص فى أعماق الأعماق ثم أرتفع ثم أنقلب ثم أنفرد فأسقط على وجهى ثم أتكور.. حتى دخل الماء من كل فتحات وجهى.. ولطمتنى موجة عاتية جبارة.. دخل الماء على أثرها بقوة مندفعاً فى أنفى.. ففقدت الوعى. ولم أنذكر أى شىء سوى أننى تلوت الشهادتين.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.. وهذا ما أحمد الله تعالى عليه كثيراً.. إننى دعوته فى كل أيام عمرى أن يجعل خاتمة عملى التوحيد ورضاه الكبير.. فلطالما كنت أقول

وأنا أتضرع إليه: «اللهم لا تقبضنى إليك.. إلا وأنت راضٍ عني كل الرضا.. من غير عذاب ولا حساب ولا بلاء في الدنيا والآخرة.. آمين».

ثم غبت عن الوعي بعد ذلك ولم أدر كيف انقضى باقى الليل.. ولم يكن هناك عقل لى ليعرف هل أنا حى أم ميت؟.. ولم أشعر إلا وأنا أنجرف مع الماء الذى حملنى ثم ألقى به على شاطئ رملى أبيض ناعم.. ولم أشعر إلا بالشمس تحرق وجهى يساعدها الملح الذى تشبع به جلدى.

بتأقل كبير نهضت والماء مازال يتساقط من شعرى.. جثوت على ركبتى وكأننى كنت بالأمس فى حلقة لرجال أشداء كل منهم يحمل عصاً غليظة وقد لقنوني درساً على كل جزء من جسدى.



نهضت أنظر حولي.. ملابسى مبتلة.. حافى القدمين
ولا عمامة ولا قبعة.. هل أنا فى جزيرة أم على شاطئ
يحد بلاداً وعماراً أم ماذا؟ ذهبت إلى بقعة جافة من
الرمل فجلست عليها واضعاً ركبتيَّ بين ذراعىَّ أنظر
للبحر.. يبدو أننى فى الصباح الباكر.. فالشمس مازالت
تعبّر المشرق، خلفى مباشرة صخور عالية لا أدرى ماذا
سأرى من فوقها؟ لابد أن أعتليها على أية حال.

لكن.. ليس الآن.. أنا مرهق.. أشعر بجوع قوى
ملهب.. الماء المالح هو كل ما يملأ جوفى.. يزيدنى
عطشاً فوق العطش.. لابد أن أخلع ملابسى حتى لا
أصاب بالأنفلونزا.

عار يمشى فوق الرمال وحده إلا ما يستر عورته..
ينظر يمينه ويسرة.. هذا أنا.. تحركت على قدميَّ بعد أن

نشرت ملابسى فوق صخرة تلهبها الشمس.. سرت
 عسى أن أجد شيئاً ذا معنى أو علامة تدل على أن أحداً
 يعيش بالقرب من هنا. وظللت على هذا الحال.. أسير
 فوق الرمال.. تعترضنى بين الحين والآخر صخرة.. لكن
 لم يعترضنى إنسان.

الشاطئ ممتد.. وهذا ما بدأ يزعجنى.. إلى أين أجد
 النهاية.. لم أجد نهاية.. تعبت.. ثم قررت الرجوع إلى
 المكان الذى جئت منه.. ولا أدري لماذا أظن أننى فى جزيرة..
 وأننى مازلت فى عرض المحيط.. وليس وراء هذه الصخور
 العالية التى تنشق عنها الخضرة بكثرة سوى المحيط.

قررت أن أبحث عن طعام قبل أى شىء.. ثم بعد أن
 أتغذى أرى إن كنت سأتمكن من تسلق الصخور أو
 البحث عن مطلع هين إلى أعلى.

وجدتني عند ملابسي ولم تكن قد جفت بعد.. ماذا سأكل؟ هذا في معظم الجزر التي زرتها أو قمت فيها بمغامرات، كان هناك نخيل جوز الهند.. مالى لا أرى هنا أى شىء منها؟

كما أن في الجزر التي مررت بها من قبل كان معى ناس.. أشخاص أتحدث إليهم ويتحدثون لى.. أناس يجعلوننى أشعر بأننى ذو قيمة أو فائدة.. الوحدة شىء مرعب مخيف وإن لذت لى فى بعض الأحيان.

نظرت للأشجار المتدلية غصونها من أعلى.. لا توجد شجرة واحدة ذات ثمار.. ما لهذه الجزيرة فقيرة بالفاكهة.

تذكرت صنع الله فى الجزر التي مررت بها من قبل.. كنت أعثر على جوز الهند والمانجو واللوز.. إنها جزر لم

تطأها أقدام من قبل، فمن الذى زرع فيها أشجار
الفاكهة والنخيل؟ سبحان الله الذى خلق كل شىء
وجعل من كل شىء زوجين.

زوجين!!.. فى غالبية مغامرات كان يرافقنى أحد
الناس.. نكون زوجين.. لكن هذه المرة.. أنا بمفردى..
وحدى.. الحمد لله رفيق من ليس له رفيق.. اللهم يا
مؤنس كل وحيد.. يا صاحب كل فريد.. يا قريباً غير
بعيد.. يا غالباً غير مغلوب.. فرِّج عني ما أنا فيه.. وصل
اللهم على سيدنا محمد... آمين.

مشيت من جديد.. ولا أدري إلى متى سأظل
أمشى.. اقترب الظهر أم ليس بعد؟

الصخور الضحلة متناثرة بكثرة على الشاطئ...
يملاها الماء، هناك أشياء تتحرك.. أليس كذلك

يا مؤمن؟.. أم.. أم أننى أهذى من التعب. اقتربت
وسرت فوق الصخور الملساء.. نعم.. لم أكن أهذى..
سرطان البحر.. رأيت واحداً أو اثنين. سأل لعابى اقترب
الأمل فى الطعام.. كيف أصيده؟ جريت وحملت غصناً
جافاً.. ليس معى خنجر لأجعله مديباً فأتمكن من صيد
سرطان البحر.. ما العمل؟... كان مستفزاً.. كأنه
يتحدانى.. يجرى من ثقب إلى كهف.. يشعربى
فيختفى هنا وهناك.. هل أمسكه بيدي.. سيعض
بكلاليه أصابعى، إنها الملابس.. عدت أجرى وحملت
قميصى.. وقمت بلفه حول راحتي ثم بحذر أقرب من
سرطان البحر.. رأى ظلى فحاول الهرب فى أحد
الشقوق.. الجوع كان أسرع منه فأمسكت به.. كان كبيراً
يكفى لسد جوعى.. فكيف بعد ذلك أكله ولم يكن

هناك ما أنضج فيه ولا ما أشويه عليه.. منظره الشهى
يسيل اللعاب.. لكن لم أتعود أن أكل شيئاً كهذا نيئاً..
لا بد أن أشعل ناراً.

غرس السرطان فى غصن نأتى من شجرة، ثم
استدرت أبحث عن وسيلة أشعل بها النار.. والأمر بالغ
السهولة لكن فى حاجة إلى صبر.. فإذا مررت بظروف
مشابهة فاحرص ألا يأتى عليك الليل إلا ولديك نار..
جمعت حطباً جافاً وصنعت به كومة ثم بحثت عن
قطعة من الحطب أشد صلابة من غيرها.. والأمر يعتمد
على قوة الاحتكاك.. فلما أخذت أحك القطعة الصلبة
بأخرى بقوة وسرعة.. تولد عن الاحتكاك دخان..
فزدت فى قوتى وسرعتى، ثم وضعت أعشاباً جافة
حول مكان الاحتكاك.. ومازلت مستمرّاً إلى أن اندلعت

النار فى العشب الجاف، كنت أساعدها بنفخات بسيطة من فمى.. اشتعلت الأعشاب الجافة ثم انتقلت النار إلى الحطب.. فأصبح لدى نار.. أخذت أراعيها بعض الوقت كى لا تخبو.. ثم جرّيت وأحضرت سرطان البحر فوجدته قد مات فألقيته وسط النار.. وبعد برهة تصاعدت رائحته اللذيذة.. فجلست ألتهمه بنهم.. وكانت ملابسى قد جفت فارتديتها.. لاحظت أن الظهر قد مر فصليت الفرض.. وزاد سرطان البحر عطشى عطشاً.. فأين أجد الماء؟

فى معظم الأحيان يظل المرء منتظراً لشيء يشغله.. أو لمسئولية سوف يؤديها.. لكن فى جزيرة.. وحده.. يشعر أن الوقت ملك له.. لا أحد يسأله عن شيء.. ولا ينتظر منه أحد شيئاً.. أى شيء..



تحركت من جديد أبحث عن الماء.. بعض الشواطئ
مثل شاطئ مدينة الإسكندرية إذا قمت بالحفر فى الرمال
على بعد أمتار قليلة من ماء البحر المالح.. ستعثر على
ماء عذب على عمق بوصات قليلة.

حاولت حفر الرمال فلم يواجهنى سوى الصخر..
أظن أننى لو تجولت أكثر فى الجزيرة فسأجد الماء.. دائماً
ما توجد مياه فى مثل هذه الأماكن.

حدائى العطش لتسلق التلال الصخرية.. حيث
عشرت بين الأشجار على طريق طبيعى يصعد بى
لأعلى.. وكان الأمر هيناً حتى هذا الحد.

الماء.. الماء.. الماء.. مضيت أبحث عنه حتى طفت
بالجزيرة كلها.. لكن مع أسفى الشديد.. لم أعثر عليه..
لا توجد هنا ينابيع.. ولا أحواض فوق الجبال تسيل منها

المياه المتجمعة من المطر.. ولا آبار.. ولا شيء يبلل
الشفاء الجافة والحلق المملح.

أمضيت النهار كله وأنا على هذه الحال.. أبحث عن
الماء.. لكنني لم أوفق مع الأسف، أنظر إلى السماء..
إلى صفحتها الزرقاء في هذا الصيف القاسي والحر
الشديد.. فلا أجد الغيوم ولا المطر.. أعود فأنظر إلى
البحر.. كل هذا الماء!! كل هذا الماء لا يصلح للشرب.
قيل الغروب عدت إلى الشاطئ مرة أخرى وبدأت
أؤهل نفسي للصيام عن الماء.. فإذا مر بك موقفك هذا
فانو الصيام لوجه الله تعالى.. هكذا سيزول عنك
الشعور القهري بالحرمان والعطش.

كان هناك كهف مررت به أكثر من مرة.. آن الأوان
لاستكشافه، فتحتة الوحيدة مطلة على الشاطئ مباشرة..

لا يمكننى الدخول من تلك الفتحة معتدلاً ولا منحنيًا.. حملت شعلة من النار ودخلت بجانبى.. إذ الفتحة ضيقة مع أن الكف فى الداخل متسع بما يكفى للاحتماء من البرد.. كما أنه يعلو الشاطئ بمسافة أظن أنها كافية لعدم دخول ماء البحر إليه أثناء المد.

الكهف رطب.. وضعت الشعلة بجانب الباب وتكورت فى ركن ثم رحت فى سبات عميق.. التعب الشديد والإرهاق يدفعان المرء للنوم فى أماكن يستحيل أن يستطيع النوم فيها لو كان مرفهًا منعمًا.



وهكذا مرت الليلة الأولى فى نوم عميق.. استيقظت قبيل الفجر بقليل.. أشعر أن فى حلقي بعض الشوك.. لا أجد لعبًا فى فمى ولا أتمكن من إنتاج تفلة واحدة

تهون غصة الحلق.. استندت على الجدار بجانبى
واعتدلت وقد خبت الشعلة فلم يبق منها غير وهج
الجمر الضعيف.

أخذت أجفف يدى فى ملابسى بعد أن استندت بها
على الجدار.. وفجأة تنبّهت لنفسى.. لماذا ابتلت يدى؟..
إنه الجدار. يا إلهى.. مسحت مرة أخرى فإذا به مبتل
بالماء.. يا ربى.. يا ربى.. أهو ماء عذب أم ماء البحر..
تذوقت أصابعى.. من شدة العطش لا أدري أهو عذب أم
مالح.. مسحت يدى فى الجدار مرة أخرى.. لحست يدى
كلها.. إنه عذب.. بالتأكيد.. وكانت أول مرة فى حياتى
أمد لسانى لجدار من الصخر الصلب الذى ينشع ماءً لا
أدري مصدره ثم أخذ فى لمس الصخر.. لحست الكهف
كله والماء.. ما أجمله.. ما أبرده.. ما أطيبه.. تذكرت فى

مغامرتي «العطش القاتل»، إننى كنت ساموت من العطش.. كنت متعباً ومنهكاً؛ فى سفر وصحراء ورياح متربة، وعثرت على واحة فى النهاية بها عين ماء عظيمة.. يا إلهى.. من أين يأتى هذا الماء، من أين؟.. خرجت مع بوادى الصباح أجرى إلى كومة النار التى أشعلتها بالأمس.. كانت ستخبو.. حملت الكثير من الحطب وسعرتها مرة أخرى، ثم حملت شعلة كبيرة وعدت للكهف.. وأنرت داخله.. رأيت شقوقاً فى الجدران لا تكاد تُرى بالعين.. تنشع بماء عذب.. لكن ببطء شديد يكفى لتبخّر الماء قبل أن يسيل على الأرض أو يتجمع فى مكان.. إذاً بالجزيرة ماء عذب.. لكن كيف أصل إليه. أصبح همى كله فى هذا النهار هو البحث عن هذا الماء ولم أعد أفكر فى أى شيء آخر ولا حتى فى سبيل للخروج من الجزيرة.

وبمجرد أن مس الماء لساني حتى جفت من اللبس
جدران الكهف، وهذا أعطاني الأمل والقوة مرة أخرى.
فتشت في كل مكان فيه فلم أر شقًا ولا فتحة تؤدي
إلى مكان آخر. عدت أخرج ثم حملت على نفسي
وصعدت أعلى التل والكهف أسفل مني، ثم لما لم أعر
على شيء؛ مشيت في خط مستقيم بحذاء الكهف لأرى
من أين يأتيه الماء.

عشرت على شق نائم في الصخر.. لا يكاد يدخل
أصابعي.. مع كونه طويلًا لا أدري أهو الحدس أم
العطش يجعلني أشعر بالماء في داخل هذا الشق.. لكن
جوف الشق مظلم أسود.. أحس بالماء ولا أراه. أمد
أصابعي فلا ألمس إلا صخرًا جافًا وإن كان باردًا..
اعتدلت واقفًا فإذا اللمعان الحبيب للنفس ينعكس على

الماء داخل الشق بضوء الشمس وقد ترقرق ثم اختفى..
 الحمد لله.. الحمد لله.. الماء هنا.. هنا.. لكن كيف أصل
 إليه.. كيف يا ربى.. مددت أصابعى حتى كادت تنحشر
 يدى فى الشق.. الماء موجود.. لكنه بعيد.. لابد أن
 أكسر الصخور حتى أصل إليه.. لا شئ لدى.. لا
 مطرقة ولا فأس ولا قطعة حديد فى هذه الجزيرة.

عدت أجرى إلى الشاطئ.. حملت صخرة وقذفها
 فى صخرة كبيرة.. تناثرت صخور كثيرة حادة.. حملت
 إحداها ثم بحثت عن جذع مناسب.. ومن أليافه المتدلية
 صنعت مطرقة حادة.. وصعدت التل بسرعة، وعند
 الشق وقفت أكسر الصخر بالصخر.. تكسرت المطرقة
 ولم يتحرك الصخر؛ سوى بعض التفتتيت الذى لا
 يذكر.

ازداد غضبى مع أن النسيم العليل والشمس والبحر
والسماء الجميلة يهدءون من انفعالى كثيراً.. أريد أن
أتمتع بهذه الأجواء.. لكن مع التهديد بالموت كلها
تصبح سوداء قائمة.. ومرعبة. أخذت أدور حول نفسى
لا أدرى ما العمل.. كيف.. كيف يمكننى الحصول على
هذا الماء الذى أكاد أراه بعينى ولا أحصل له.

وبما أن الحاجة هى أم الابتكار والاختراع.. فقد لاحظت
لى فكرة.. إذا ألقيت فى الشق حصوات صغيرة يمكنها أن
تحتل الفراغ فيه وتدفع الماء لأعلى.. وبينما أنا أجمع
الحصوات تذكرت أننى بذلك سأسد الشق.. وقد يغور الماء
فلا يمكننى الحصول عليه.. رميت الحصوات من يدي..
ووقفت حائراً لا أدرى ماذا أفعل.. بحثت عن صخرة قوية
وثقيلة ودحرجتها بمشقة حتى وصلت بها إلى مكان الماء..

وجلست أجدل من الألياف أجبالا طويلة وقوية.. وبقيت على هذه الحال حتى آخر النهار.. أذكر أنني لم أتناول طعاماً قط.. بل كنت منهمكاً فى عملى.. وربطت الصخرة الثقيلة بحبل علقت به بغصن مرتفع وأخذت أرفعها عاليًا وأنا أشد الحبل، فهوت الصخرة وهوى معها أملى كله.. تحطمت الصخرة ولم يتحطم الشق اللعين. شعرت بيأس، وخارت قواى تماماً.. وكنت فى جوع شديد.. قطفت بعض الأزهار من الشجرة، ورغم طعمها غير المستساغ.. التهمتها فأطفأت من عطشى وجوعى قليلاً.

عدت إلى الكهف مع غروب الشمس.. وانتظرت أفكر حتى صليت العشاء... ثم رحت فى سبات عميق وهكذا مرت الليلة الثانية.



قمت فى الصباح الباكر... مازلت ألحس جدران الكهف حتى أبقي على قيد الحياة، ولم أصل بعد إلى فكرة يمكننى بها إخراج الماء من الشق الصخرى.. ورحت أبحث فى أماكن أخرى عسى أن أجد الماء بطريقة أسهل.. لكن لم أجده.. وقررت ألا أنسى نفسى هذا اليوم وأن أبحث عن طعام.. وقد أصل إلى وسيلة لأخرج الماء أثناء ذلك.

وصنعت من الصخور الحادة مطرقة صغيرة وقوية وحادة.. ولم أدعها تفارقنى أبداً.. واستطعت بها أن أصنع شوكة كبيرة من الأغصان.. سرت فى الماء الضحل أبحث عن صيد.

وتمكنت بسهولة من صيد سمكات كبيرة.. وشويتها على النار ثم أكلتها بشراهة ولم يعكر صفو هذه الوجبة الدسمة غير أننى لم أجد الماء لأشربه بعدها.

عظام السمك كبيرة ودسمة، فطاب لى مصمصتها..
وتذكرت أمى وهى تعطينى ساق البهيمة المسلوق فى
الماء وتطلب منى أن أمص ما به من نخاع لذيد.. كدت
أبكى لَمَّا تذكرت أمى، ولا أدرى كيف تملكنى هذا
الشجن.

ولا أدرى أيضاً كيف تكمن الأفكار حتى تأتيك فجأة
كأنك تمد يدك فتأخذها من رق بين كتب كثيرة.
انتفضت ونسيت الشجن والسمك وألقيت ما بيدى..
لقد جاءت الفكرة.. نعم.. جاءت الفكرة يا مؤمن.. أيها
الأحمق.. كيف تأخرت فى أخذها؟ جريت فى الجزيرة
أبحث عن ساق بهيمة.. عفواً عن سيقان الغاب.. وكم
أحبك أيها الغاب.. كم أشتاق إليك.. وفى جهة قرية
وجدته.. حملت ساقاً منه وحرصت على قطعها بشكل

أنبوب غير مسدود.. ها أنا ذا أيها الشق العصي.. ها أنا
 ذا أيها الماء.. جئت ومعى شفاطة.. وقفت أمام الشق
 أبتمسم.. ثم وضعت فمى فى طرف الماصة والطرف
 الآخر دخل بسهولة فى الشق.. ثم شفطت.. ما ألد
 الماء.. ما أطيب الماء.. ماء.. يا الله.. لك الحمد والشكر..
 أخذت أمص وأشرب وأشرب حتى ارتويت وزدت
 حتى انتفضت.. ألقيت بالماصة جانباً ثم استلقيت على
 الصخر بجانب الشق ألهث من كثرة الارتواء.

هذا هو الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه..
 فيقول ربى أكرمنى.. وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه..
 فيقول ربى أهاننى.. لكن لك الحمد يا ربى.. لم أقل
 يوماً إنك أهتنى.. فنعمك على الكثيرة أدرك بها دائماً
 أنك تعطى بلا سبب.

وماذا الآن؟ الطعام متوفر بكثرة فى أسماك البحر
والسراطين.. والماء فى الشق لا ينضب.. عندما يضمن
الإنسان طعامه وشرابه فقد حصل على ثلث الدنيا.. لأنك
كما تعلم.. إذا بات الإنسان آمناً فى سربه معافاً فى جسده
وعنده قوت يومه.. فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها..
والحمد لله.. أنا معاف فى جسدى.. وأصبح لدى قوت
يومى وأيام كثيرة قادمة.. ويبدو أننى مع ما أنا فيه من
محنة ما زلت آمناً فى.. فى ماذا.. فى سربى لا أحد معى..
فى مكانى.. هذه الجزيرة لا ينتشر فيها غير النبات.. لم أر
حيواناً ولا زاحفاً ولا إنساناً ولا أثراً لذلك.
أمضيت الليلة فى التفكير ثم نمت.. وانتهت تلك
الليلة.





فى صباح اليوم التالى قمت وكلى نشاط.. أول ما فعلته: ذهبت للشق، اطمأنت على وجود الماء وشربت، ثم قررت أن أفعل شيئاً من أجل فراشى وغطائى.. لأننى أتجمد بالليل من شدة البرد.

ولأننى حرفى فى الأصل.. وصنعتى هى معالجة الغاب والألياف لصنع السلال والمقاعد والتحف.. قررت أن أجمع أكبر قدر من الألياف والغاب وأتسلى فى الوقت الطويل بعمل شىء ذى قيمة.

أكثر ما كان يخيفنى ألا أرى سفينة.. أو لا يشعر بى أحد من جوارب البحار.. سوف تسأل وتقول متحدياً.. لماذا لا تصنع لك قارباً كما فعلت من قبل فى مغامرات كثيرة.. أجيبك بأنك محق.. لكن لو شاهدت الشاطئ الذى انعزلت عنده ستعذرنى.. فالأمواج العالية تضرب

الجزيرة من كل ناحية.. وهى صاحبة دائماً عالية.. تهجم على الشاطئ مثل مجموعة من الذئاب فى قطع جائع على بعض الحمير الوحشية الغافلة.

وهذا يعنى أننى فى حاجة إلى شراع حتى أتمكن من مقاومة الأمواج والتقدم رغم قوتها العاتية.. فمن أين لى بالشراع؟

الشراع يحتاج إلى غزل والغزل فى حاجة إلى قطن والقطن فى حاجة إلى بذر، أم أن الشراع يتواجد بلا سبب.. مثل حكاية البيضة والدجاجة.. الكثير من الحمقى يسألون سؤالاً سخيفاً عندما يقولون لك.. من أتى قبل الآخر.. البيضة أم الدجاجة؟ ولو علموا أن البيضة لا يمكن أن تفقس إلا بوجود دجاجة لأدركوا أن الدجاجة هى التى خلقها الله تعالى قبل البيضة.. خلق

أولاً ديكاً وخلق للديك دجاجة والبيضة أتت بعد الديك والدجاجة.. فلا يمكن أن يأتى شرع بدون أن تتوافر بذرة القطن.. إلا إذا كان ذلك فى حالة واحدة.. سفينة غرقت بمكان ما.. فحمل الموج شرعها إلى وأنا لا أتمنى نجاتى بهلاك آخرين.

جمعت القدر اللازم من الألياف والقصب.. وساعتها لم أدخل للكهف عند الغروب.. بل جلست أمام النار أجدل الألياف.. كانت أمسية رائعة.. الذى عشته كان فى حاجة إلى دراسة، قد لا يتمكن المرء من محاسبة نفسه أبداً، كون مثيرات الحياة كثيرة ومتلاحقة.. تجده يفزع من عمل لآخر ومن يوم لأسبوع لعام.. متى يتوقف ثم ينظر فيما مضى من حياته ثم يحاسب نفسه ويحدد كم الخير أو الشر الذى جناه فيها؟.

فى مثل هذا الظرف الذى أصبحت أعيش فيه
أجدنى أحاسب نفسى على كل ما مضى.. أتذكر كل
خير فعلته وكل ذنب أذنبته.. أجدنى غير فرح بما أنجزته
من طاعات وعبادات وخيرات.. لكن أجد ذنوبى
كالجبل أحمله فوق رأسى ولا أدرى كيف أتخلص
منه.

نعم.. الاستغفار والتوبة.. عسى الله أن يفرج عني ما
أنا فيه الآن. جدلت بكرة كبيرة من الحبال عندما داعب
النوم جفونى.. حملت بعضاً من الألياف والأغصان
الطرية إلى الكهف عسى أن أتوارى خلفها من شدة
البرد... وهكذا كانت ليلة جديد فى الجزيرة، إنها: الليلة
الرابعة:



كانت الرياح شديدة فى الخارج وأمطرت مطراً لا
 ميعاد له.. وفرحت -رغم البرد- أن الماء يزور الجزيرة..
 وشعرت رغم ذلك بأمان كبير.. فماذا سيصينى من
 أهل الدنيا.. بكل مخلوقاتنا وأنا فى جوف هذا الكهف
 الأصم.. حمدت الله تعالى.. ثم ذهبت فى سبات
 عميق.

الصباح التالى.. كأن سؤالك وتحديق لى: لماذا لم
 أصنع قارباً ولم أفكر فى صنعه.. وسؤالك رغم إجابتي
 عليه.. جعلنى يا أخى أنهض من النوم ولدى رغبة فى
 التفكير فى أمر هذه المحاولة.. الخروج من هذه الجزيرة.
 ثم جلست بعد أن تناولت فطوراً لذيذاً.. كنت
 أراقب أحد أعشاش الطيور منذ البارحة.. فلما هزته
 بغصن سقط منه بعض البيض على الرمال.. فألقيت

به فى النار.. وكان الببض المشوى فطوراً شهياً بحق..
أعطانى فرصة جيدة للتفكير.. وقفت أهرش فى
رأسى على الشاطئ وأنا أراقب الموج العتى.. وأفكر
فى الطريقة التى يمكننى أن أتحداه بها ثم أفوز
بالتحدى.

جلست مكانى متربعا شاخصا نحو الماء والموج،
وكأن الفلسفة الإنسانية التى تحب دائما أن تعلن عن
نفسها تدفعنى لإنشاء قناعة بما أنا مقبل عليه وسألتنى:
- ما الحكمة من محاولتك الخروج من هذه الجزيرة؟
فأجبته على الفور:

- ارجع إلى الناس.. إلى الدنيا.. إلى المباحج.
- وهل فكرت قليلاً أنك حتى الآن تحيا سعيداً.. تأكل
وتشرب وبعد قليل تعد الفراش والسياج أمام

الكهف.. وتقيم لنفسك مطبخًا وتصنع الأواني والأطباق وتنسج ثيابًا وتعبد الله بدون ذنوب تقترفها.

- حقًا.. أنا هنا سعيد.. لكن لا يمكن للإنسان أن يكون وحده هكذا.. لابد من وجود الناس.

- أنت في نعمة.. العزلة عن الناس تمنعك من شرورهم وتحفظك من أذيتهم.. الجزيرة جميلة.

- أعرف أنها جميلة.. لكن أنا في حياتي ما عشت وحيدًا.. لابد أن أحيي من أجل الناس ونفسي أيضًا.. وإن كان موضوع العزلة مقيدًا، فأولى بي أن أصبر على أذى الناس ابتغاء وجه الله تعالى.

- هناك يا مؤمن نهاية لكل شيء.. حاسبت نفسك على ما مضى من عمرك وتأملت من أجل ذنوبك.. ما رأيك

أن تبقى هنا حتى النهاية.. وتقبل على الله بعمر طويل
بلا أخطاء.

- الشيطان لن يدعنى هنا أو هناك.. وقد أقصر فى
الطاعة وقد أهمل العبادة مع أنى وحدى وبذلك أكون
مذنبا أيضا.

- الشيطان بدون الناس.. بدون رفيق لك هو أضعف ما
يكون.. الشيطان مهمته أن يفرق.. وأنت وحدك هنا.
- يا إلهى.. ومن سيقوم بدفنى عندما أموت.. لا لا لا..
لو أن كل الأشياء بهذه الجزيرة حلوة.. فلن أهدأ حتى
أخرج منها.

- لماذا يا مؤمن؟

- لأننى لم أخترها برغبتى.. وإنما ألقى بى المحيط
إليها... وهكذا.. على اتساعها أعتبرها سجنًا إلى أن
أخرج منها..

- إذا لن تندم فى يوم من الأيام وتتمنى لو بقيت هنا؟
- لا.. لن أندم.. ثم.. ثم إنه يمكننى إذا أحببت أن أرجع إليها أستعيد الذكريات.. لا يا مؤمن.. سأرجع لأمى.. نعم لأمى، أدركت بعد حوارى الهادئ على أنغام الأمواج الهادرة وصخب البحر المحبوب أننى لن أبقي هنا إلى الأبد.. وأننى لا أستطيع التحكم فى عقلى وفى رغبتى الملحة إلى المحاولة من أجل كل شىء وأى شىء. ما خلق الله الإنسان لينعم بطعام وشراب وبيت وطبيعة خلابة.. بل من أجل أن يعمر ويعمل ويتج لكى يتقوى على عبادة الله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
- لا.. أنا لا أحب هذه الحياة.. سأعمل وأنجز.. سأحاول عشرات المرات أن أهزم هذه الأمواج.. مهما

أعادتنى إلى الجزيرة.. هيا يا مؤمن لا تيأس ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ
 مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ سأحاول حتى الموت.
 كان قعودى الطويل على الرمل مثقلا لى.. قمت أبحث
 عن طعام للغداء وصدت سمكا ثم زدت فى الحطب..
 وشويت السمك وأكلت وكلى انشغال بالطريقة التى
 يمكننى الخروج بها من هذه الجزيرة.

نظرت بعد فراغى من الطعام إلى الأشياء التى كنت
 سأصنع منها فراشى وغطائى وبابا للكهف وسياجاً
 أمامه.. وقررت أن لا أهنأ بنوم ولا قرار إلا فى مصر؛
 فى بيتنا.. بجانب أمى، وأن تكون هذه الألياف والأحبال
 بذرة الشراع والقارب.

بالبلطة ها أنا أقطع جذوع الأشجار الرفيعة.. العمل
 فى قطع الأشجار ممتع ويمد الجسم بالقوة.. ومع أن

أشجار هذه الجزيرة ذات جذوع قطرها صغير.. فلم
أعثر حقيقة على الشجرة الكبيرة ذات القطر الواسع..
أذكر أنني في ذات مغامرة صنعت قارباً من نحت جذور
شجرة واحدة.. قمت بتفريغه على هيئة قارب، لكن هنا
لم أعثر على شجرة بهذا الحجم.. يلزمني إذاً تفصيل
قارب للنجاة من أخشاب عدة.

قطعت كمّاً لا يستهان به في هذا اليوم.. وبالليل
استمرت عملية جدل الحبال من الألياف، وهى عملية
مرهقة وتسبب تشققات مؤلمة فى راحتي اليدين لم لم
يكن معتاداً عليها..



وهكذا مرت الليلة الخامسة على خير.. وفي
الصباح قسّمت العمل قسمين.. من الصباح إلى ما

بعد الظهيرة أنزع ما على جذوع الشجر من فروع
وأشد بها، وفي العصر إلى المساء وحتى العشاء أجدل
الحبال.

وفي يوم واحد تمكنت بفضل الله تعالى من تشذيب
كل الجذوع التي أحتاج إليها.. وقمت برصها أمام
الكهف.. وازدحم الكهف بكرات الأحبال فأخرجتها
منه وتركت فيه فقط ما يمكنني بانجازه بالليل.. وأكلت
السّمك وشربت بشفاطى الماء من الشق.. وهكذا مرت
الليلة السادسة.



هل اليوم يوم الجمعة حقاً أم السبت.. بذلت جهداً
كبيراً فى محاولة تذكر الأيام.. ما هو اليوم الذى سقطت
فيه من السفينة فى الماء، وبعد التدقيق والتذكر عدة

مرات عرفت أنه يوم الجمعة.. وعندما جاء وقت الظهيرة تأملت أننى لم أتمكن من إقامة الشعيرة الأسبوعية.. خطبة الجمعة.. أنا أجيد الخطابة.. وأحمل فى صدرى مواعظ طيبة.. ومررت بهذا الدور عدة مرات فى بعض مغامراتى.. لكن هل أخطب لنفسى اليوم.. لا يصح.. لابد من جماعة.. صليت الظهر كالعادة.

وبعد ذلك تناولت غدائى ثم فكرت فى صنع نول كبير يمكننى أن أنسج عليه شراعاً مناسباً.

النول التقليدى أربعة أضلاع.. لذلك لم أشأ إضاعة الوقت، فاتخذت من الأشجار الطبيعية القائمة فى مكانها نولاً وزودتها فقط بضلعين أفقيين، وكان العمل حماسياً لدرجة كبيرة.

ربطت الأحبال فى الأضلاع الأربعة.. أحبال أفقية
 ثابتة ثم قمت بتمرير الأجدال الرأسية بينها..
 واستخدمت حيلًا بارعة لإتمام هذا العمل الجبار حتى
 أتى الليل وأنا منهمك وقد نمت نومًا عميقًا مليئًا بأحلام
 النجاة... ومرت الليلة السابعة.



وفى الصباح التالى قمت أنجز بقية العمل.. إننى أعيش
 منذ حوالى أسبوع فى هذه الجزيرة.. مر علىّ كأنه عام أو
 أكثر.. لكن الأيام الأخيرة منه مرت أسرع بكثير من الأولى.
 وبعد أسبوع آخر...

جاء يوم جمعة آخر.. أنجزت خلال الأسبوع الماضى
 نسج الشراع فقط.. ويا لها من فرحة أن تنجز عملاً
 كبيراً كهذا.

شراع من الحبال.. منسوج بعناية وجهد.. كنت
أعمل فيه ليل نهار حتى أحكم إلصاق الخيوط ببعضها
وفى النهاية عقدت أطرافه كلها.. وقصصته من الأشجار
فنزل على الأرض كسجادة كبيرة جداً نحتاج لرجلين
على الأقل لحملها إذا طويت.. مع أنها إذا بسطت كانت
خفيفة.. لكنها طويلة عرضاً وطولاً.

بقى لى أن أصنع القارب.. قررت ألا أصنع له
جوانب حتى لا يغرق إذا امتلأ بالماء.. ولنفس السبب
أيضاً قررت أن أجعله على شكل طوق سطحي لا يعلوه
إلا سارى حر يمكن تثبيت الشراع عليه.. كما أننى
سأضع للشراع المستطيل جذعاً من أعلى ومن أسفل
ليصبح منشوراً، بحيث إذا رفعت السارى منتصباً يؤدي
دوره بأسرع ما يمكن.



وجاءت اللحظات المهمة الأخرى.. ألا وهى ربط
الجدوع ببعضها لصناعة الطوق.. كان النهار فى آخره
وكان شوقى فى آخره أيضاً.. فرحتى بنسج الشراع
أعطتنى راحة كبيرة.. ذلك أنه أصبح من الممكن
الخروج من الأمواج المتدافعة بالرغم من أنه لن يكون
أمرًا سهلاً.

وفى المساء وعلى ضوء القمر.. سويت ما بين
الجدوع ووضعتها فى صف، بعضها فوق بعض،
وخطت أن أنهى العمل فى بناء جسم الطوق غدًا، ثم
أودع الجزيرة بعد غد أو بعده إذا تعثرت فى أمر ما.
وكنت فرحًا بمنجزاتى، فأخذت أطوى الشراع
كالسجادة وأضعه وأدواتى والأحبال اللازمة فى وضع
بحيث يسهل على العمل فى الغد.

دخلت الكهف وجدلت بقية الجبال حيث نفذت كل
الآلياف التي جمعتها.. وصليت العشاء.. ثم نمت نومًا
عميقًا.

تمنيت مرة واحدة لو استيقظت قبل الفجر بفترة
أتمكن فيها من صلاة الليل.. فمنذ استضافتي في هذه
الجزيرة وأنا لا أصلي الليل.. وأخشى أن أفقد هذه
النعمة الكبيرة.. وأخشى أيضًا أن الله لم يعد يرحب
بى.. ذلك لعلمى أن من أحبه الله أحب أن يسمع
صوته.. كذلك يوفقه لقيام الليل ويفرح به ويمنحه
القدرة على المناجاة.

إن مناجاة الله نعمة لا يعطيها الله لكل الناس.. بل
يعطيها لخواص الناس.. فمن عرفت أنه يقوم الليل
ويدعو الله فى الخلوة دون أن يراه أو يسمعه أحد، فاعلم

أن الله يحبه.. منذ فترة لا أقوم الليل حتى أننى أصبحت
أستيقظ مع طلوع الشمس... فليسامحنى الله..
ليسامحنى الله.. أتمنى لو قمت قبل الفجر هذه الليلة.



فى الليلة الخامسة عشرة.. من شدة رغبتى فى القيام
لصلاة الليل.. رأيت فى منامى أن الجبل يهتز بى..
وأصوات الحجارة تتساقط من أعلى وأن الكهف يمتلئ
بالماء.. الماء.. فى الحقيقة لم يكن حلمًا ولا كابوسًا..
إنها الحقيقة، فوجئت أننى عائم على الماء الذى ملأ
الكهف.. ماء البحر.. وكان كل شىء يهتز بقوة.. الليل
لم يمكنى من رؤية شىء.. زلزال.. أصوات تحطم
وهدير كبير.. ورائحة البحر أقرب من كل وقت مضى..
اهتزازات عنيفة.. هل خسف الله بالجزيرة؟

نهضت أنعثر في الماء.. وقد انطفأت الشعلة.. فلم..
أنا في الحقيقة.. لا أحلم.. إنها الحقيقة.. يا إلهي..
الزلازل شديد جداً.. الملح أشباح الحجارة وجذوع
الأشجار تسقط من أعلى الجزيرة.. الجذوع.. يا إلهي..
يا ربي.. الشراع.. الجذوع والأحبال.. حاولت الخروج
من الكهف.. ولكن فوجئت بموجة عاتية تقتحم المدخل
وتصدمني بقوة وقد امتلأ بها الكهف، وأصبحت
كحشرة في قارورة ترج بالماء رجاً عنيفاً.

حاولت الاعتدال والتمسك بالجدران ومن ثم
السباحة للخارج.. لكن عادت موجة أخرى تضربني..
ولولا عناية الله لامتلاً كل الكهف بالماء ولغرقت لا
محالة.. لكن سقف الكهف كان مرتفعاً مع أن الماء
يصل لأعلى فتحته.. كانت هناك برهة بين كل موجة

وأخرى.. أحاول فيها الخروج.. لكنها لم تكف أبداً..
فى كل مرة يواجهنى الماء..

كل ما أفكر فيه هو أجزاء الطوق.. وهى كل ثروتى
وكل ممتلكاتى وكل أملى فى النجاة.

بقيت على هذه الحال محبوساً فى الكهف أتحمّل
لطمات الماء وقد يئست من قدرتى على الخروج..
وأمسيت والخوف رفيقى.

بعد ساعات هدأ كل شىء، وانسحب الماء من
الكهف وعاد كل شىء إلى حاله.. خرجت مبتلاً مسرعاً
إلى أشياءى.

لم يكن هناك أى شىء.. إنها جزء من الجزيرة وقد
سقط فى الماء.. الألواح والجذوع الخشبية متناثرة هنا
وهناك يتلاعب بها المحيط.. المهم الشراع.. أين

الشراع.. لن أتمكن من صنع شراع آخر.. رأيت سوادا
فى المحيط يطفو ويتعد.. إنه الشراع.. لم أتمالك نفسى
ولم أسمح لها أن يفلت الشراع منى. خلعت قميص
وأنا أعدو نحو البحر.. وأخذت أسبح بكل ما أوتيت
من قوة.. الأمواج تعوقنى.. أرتد للخلف.. أعاود الكرة
مرة ومرة.. أشق الموج مرة.. وأقفز من فوقه مرة
وأغطس من تحته مرة، لكن الشراع يتعد.. رأيته.. كان
مفروداً بلونه البنى من الألياف كأنه فراش وثير..
يتعد.. ألّهث.. أتابع.. أتمنى لو خرجت من منطقة
الأمواج.. فلحت فى النهاية.. لكنه مازال يتعد ويتعد..
سبحت خلفه.. نظرت خلفى.. فإذا الجزيرة بعيدة كأنها
خيال.. أدركت أنها نقطة العودة أو سأدخل إلى نقطة
اللاعودة.. قواى خارت تماماً.. المسافة بينى وبين إنجازى

تبتعد.. أثرت النجاة.. عدت أسبح نحو الجزيرة والماء
 يمسح دمع عيني.. أسرع الموج بعودتي.. وصلت
 للشاطئ وأنا منهك حزين.. كل شيء ضاع.. كل شيء
 اختفى.. الجذوع.. الشراع.. الحبال.. الأمل الوحيد في
 الخروج والنجاة.

أمضيت النهار في حزن ولم أفكر في طعام ولا
 شراب.. بقيت نائمًا على الرمال لأنني لم أتم منذ
 الأمس.. قمت عند الظهيرة.. ولا أملك رغبة في عمل
 أي شيء.. فلما بحثت عن سمك لم أجد حتى واحدة..
 الزلزال عجل بفرار كل حي من المكان.. شعرت
 بالعطش.. ذهبت للشق ولشفاطتي فلم أجد هذا ولا ذاك.
 تغيرت معالم الجزيرة كلها.. لم أعد أشعر حتى
 برغبة في البحث عن الماء.. لقد عدت من حيث بدأت..

كأننى اليوم وبعد مرور كل هذه الأيام أصل إلى هذا
القفار اليوم فقط.

تسلط الشيطان علىّ.. زاد همى همًا.. بعد كل هذا
الجهد.. وهذا الصبر والعمل.. أجدنى خاوى
الوفاض.. تأملت.. لكن قلبى صاح فى - ماذا دهاك يا
مؤمن.. أهكذا تستقبل الامتحان.. البلاء.. أين العزم
والعزيمة.. هل نسيت أن المؤمن لا يعجز ولا يحزن ولا
يقنط من رحمة الله.. استغفرت ربى.. وغربت
الشمس.. أحسست بالبرد.. فعدت إلى الكهف..
وتذكرت أن حالى لا يختلف كثيراً عن حال جرو أو
وحش من وحوش الغابة يحيا للأكل والشرب ثم ينام
بالليل فى جوف كهف.. كانت حالتى سيئة للغاية..
ونمت وأنا أتذكر أمى.. حين تغطينى من البرد بالليل..

وهي تضع راحتها الدافئة الجميلة على جبهتي.. أو حين تأتيني بشراب دافئ.. أو بطعام شهى، وتدعولي.. بكيت ثم نمت فى الليلة السادسة عشرة.

ونهضت قبيل الفجر.. تيممت وقمت الليل.. رغم كل هذا الألم قمت أنهجد لربى كى أشكره على نعمه العظيمة.. أما ما أنا فيه فهو ابتلاء واختبار وإن شاء الله سيأخذ بيدى وينجينى مما أنا فيه وبدأت أصلى وقمت بتكبيرة الإحرام وتلوت القرآن.. الصوت داخل الكهف له رنة عجيبة وله هيبة ورهبة.. كأن القرآن الذى أقرأه يرتد إلى جسدى فيتغلغل فيه عبر كل مسام جلدى.. ثم صليت الفجر.. وعدت أسبح الله تعالى، ثم قرأت القرآن مرة ثانية حتى بكيت.. ليس حزناً ولا خوفاً على الدنيا.. بل لأننى أدركت أن الله تعالى مازال يحب أن يسمع صوتى.. وكانت فرحتى لا تدانيها فرحة.. فرحة العودة لله.

وسطعت شمس الصباح.. وخرجت من باب الكهف
لا ألوى على شىء.. ولكنى صرخت من المفاجأة..
وقفزت من باب الكهف مباشرة إلى الرمال.. كل شىء
قد عاد.. الشراع.. الجذوع كلها.. الجبال.. كل شىء
ألقى به الموج مرة أخرى إلى الشاطئ.. الجذوع كلها
متجمعة تتخبط وهى تطفو على ماء الشاطئ.. الشراع
يتهادى هناك.. الجبال كلها منتشرة هنا وهناك.

جريت وأنا أحمد الله تعالى، وقفزت فى الماء وأخذت
أسحب الشراع إلى الرمال.. ومن ثم سحبت الجذوع
الواحد تلو الآخر.. لا أصدق ما أنا فيه.. كلما تذكرت وأنا
أعدو سابحاً لأستعيد الشراع أضحك من نفسى.. ها هو
قد عاد وحده الآن.. لا بد أن أنجز العمل بأسرع ما يمكن.

فى كثير من محاولات الأشخاص الذين يتعرضون
لظروف مماثلة يكتفون بربط الجذوع بعضها إلى بعض

بالأحبال والألياف.. ثم لا يفتأ الطوق أن يتحلل بفعل الماء والأمواج العاتية.

أفضل طريقة لربط مجموعة من الأخشاب مثل هذه الجذوع فتكون بتعشيق الخشب بعضه ببعض وتفريغ ثقب في الجذوع الكبيرة ثم حشر الجذوع الصغيرة بها... فهكذا تحصل على شباك من الخشب لا يسهل تحطيمه.. وبعد ذلك تقويه بالأحبال... ثم تطلقه في الماء مع مجداف قوى. رسمت على الرمل الطريقة التي سأجهز بها الطوق.. وبالمطرقة والصخور المديبة قمت بالنحت في الخشب وتفريغ الثقوب... كل لوح من الألواح الطويلة يحتاج إلى ثلاثة ثقوب... اثنان على طرفيه وواحد في المنتصف... ثم تضع كل الألواح بجانب بعضها البعض وتحضر الجذوع الرفيعة وتدخل واحداً واحداً في الثقب الطرفي لكل الألواح المتراصة في الثقب الأوسط ثم الثقب الطرفي الآخر

لكل الألواح المتراصة.. وتحكم هذه العملية، ثم بالحبال
تغطى جميع الأطراف ولا تقلق، ثم تحضر سارية الشراع
وتجهز لها قاعدة محورية فوق الطوق يمكنك تحريكها
لأعلى ولأسفل كالرافعة وتربط فيها الحبال اللازمة.

أمضيت فى هذا العمل النهار بطوله... وبالليل
أشعلت ناراً كبيرة ورفضت النوم تماماً... قمت بتعشيق
الجدوع والألواح.. وأقمت سارية الشراع... وصنعت
مجدافاً مربوطاً بقوة للطوق... وعند طلوع الشمس
كنت أحاول تثبيت الشراع على الأحبال.

ولم أنم بالمرة... ولم أعد أهتم بالطعام الذى لم
أذوقه منذ الأمس، لا هو ولا الماء... كنت منهمكاً؛ لا
أفكر إلا بإنجاز ما بداته.. وربطت الحبال بالشراع، ثم
أخذت أرفعه شيئاً فشيئاً حتى بدا الطوق جاهزاً للإقلاع.

الوقت بعد الظهر بقليل... ولو دفعت الطوق إلى الماء فلا عودة للجزيرة... ماذا سأحمل معى من زاد... لا ماء ولا طعام.

تنفست الصعداء وقد أصبحت جاهزاً للرحيل.. مع أننى أشعر بالجزيرة تشدنى إليها شداً.

صليت الظهر ثم عنّ لى أن أبحث عن بعض الأسماك والسرّاطين كى أحملها معى فى كيس صنعته سريعاً من الألياف. هناك بعض الأسماك البعيدة عن الشاطئ، وقفت أنتظر قدوم إحداها... لكن صوتاً قال لى... ماذا تفعل... أمازلت تقف تنتظر السمك وتضيع النهار... اذهب يا مؤمن. تركت الشوكة ثم جرّيت ثم عدت وحملتها وجرّيت إلى الطوق وقد طويت الشراع.. جذبته ودفعته حتى لامس الماء وطفأ عليه فقفزت إليه... وأمسكت جيداً بأحبال عرضية جهزتها لأمسك بها عند وجود الأمواج.

بدأ الطوق يتأرجح على الموج... سحبت حبل الشراع... فردت الشراع الجميل وربطت طرف الحبل وأخذت أوجه الطوق بدفة صغيرة فى الخلف.

وكان الموج يرفض خروجى... ولكن الشراع يقاومه بقوة... يرتفع الطوق لأعلى ثم يكمل المشوار ويعلو من موجة فوق موجة.

كنت أنظر لآخر موجة وأنا أبتسم... بعد ذلك سيكون الإبحار هادئاً وسلساً.

نظرت خلفى إلى الجزيرة بعد أن عبرت آخر تيار الرجعة... كانت كأنها تبكى حزناً على فراقى لها... وتنادينى لأرجع... تنادى وتنادى. لم أشأ أن أحفظ مكانها ولا أسأل بعد ذلك عن اسمها. ولم أجبها، بل فرحت وأنا أتقدم بطوقى البسيط... نظرت لنفسى، لم

أنم منذ الأمس... ليس معى طعام ولا شراب.. فقط
 شوكة... أتعشم أن أصيد سمكة أسد بها جوعى...
 ولكنى لا أخبرك عن شعورك إذا كنت جائعاً للنوم...
 فى وسط المياه... وتحت أشعة الشمس... وأنت جائع
 عطشان... لن يحلو لك شىء بقدر أن تنام.

انبطحت على بطنى ممسكاً الشوكة محملاً فى الماء
 عسى أن تمر سمكة فأغرس فيها الشوكة... ألم بى
 الجوع لدرجة أننى على استعداد كى أكل أى شىء... أى
 شىء... لم أر سمكاً.. لم أر أى شىء... أحناج
 للنعاس.. رأسى ثقيلة... الشمس الدافئة تدفعنى
 للنوم... أنفاسى ساخنة جداً تخرج زفيراً مسكراً بالنوم.

- مؤمن... مؤمن... هل نمت؟

- خووخو..



- مؤمن.. ستنام من جديد وأنت قريب من الماء
هكذا؟... مؤمن... احذر ستسقط فى الماء... مؤمن...
أنت نائم فى الماء... الطوق يتعد... مؤمن..
- خو خو خو.
- لقد ضاع الطوق يا مؤمن... استيقظ يا مؤمن.
- هه... من؟.. الأستاذ علاء؟... يا إلهى... أين أنا..
أين الطوق؟..
- نعمت يا مؤمن وسقطت فى الماء مرة ثانية.
- لا.. أرجوك يا سيدى... افعل أى شىء... لم أعد
أقوى على تكرار التجربة.
- أشفق عليك حقًا.. لا تقلق... انظر هناك... هناك.
- يا إلهى... يا إلهى... إنها سفينة... سفينة...
النجدة... النجدة.

مفاجأة عظيمة... لم أتصور أن المؤلف سيفعل هذا
 بى... إنها نفس السفينة التى سقطت من عليها قبل ما
 يزيد عن أسبوعين... عشروا على ورموا الى حبلاً
 وأنقذونى... وقال لى أبو الحسن وهو فى فرحة غامرة:
 - الحمد لله يا مؤمن.. كدنا نفقد الأمل فى العشور
 عليك.. القبطان لم يشأ العودة للميناء بدونك.
 - ياه... الحمد لله... الحمد لله... إخوانى... أنا جائع...
 عطشان. أحضروا لى الماء والطعام... شربت ماءً
 كثيراً ولم أكل شيئاً.. وأردت النوم وطلبت أن
 يفسحوا لى مكاناً آمناً للنوم... لا أسقط منه إلى الماء.
 تمت بحمد الله تعالى

